النزعة السياسية عند خواتين الدولة المغولية

The political tendency of the khawatin of the Mughal state

1-ط د. بوعلام ولاش*،جامعة الجزائر02 أبو القاسم سعد الله ، مخبر المخطوطات (الجزائر)

Boualem.oullache@univ-alger2.dz.

2 - أ د .أحمد شريفي ، جامعة الجزائر02 أبو القاسم سعد الله، مخبر المخطوطات (الجزائر)

Dr.a.cherifi@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/02/10 تاريخ القبول: 2022/05/09 تاريخ النشر: 2022/06/15

ملخص: يعتبر موضوع المرأة وإسهاماتها المختلفة في حضارة الدولة المغولية الأولى، من المواضيع الهامة التي لفتت انتباه بعض الدارسين المهتمين بالدراسات الآسيوية، فلم يحدث في التاريخ الوسيط أن سيطرت المرأة على دواليب السلطة، واحتكرت السياسة لنفسها مثلما حدث مع المرأة المغولية، التي جلست على كرسي العرش لمرات عديدة، ولمدة فاقت في بعض الأحيان ثلاث سنوات كاملة، كما تدخلت هذه المرأة في اختيار الخان الأعظم للمغول، فاستطاعت بفصل تحكمها، وقربها من مركز القرار السياسي والعسكري للدولة أن توصل شخصا بعينه للعرش، عن طريق دعمها له،متخطية في بعض الأحيان ولاية العهد.

ولعل توراكنه خاتون و سيورقوقتيتي بيكي أحسن من جسدتا النزعة السياسية عند المرأة المغولية، من خلال تتويجهما للأمراء و إيصالهم إلى العرش.

كلمات مفتاحية: النزعة السياسية؛ الخاتون؛ الدولة المغولية؛ توراكنه خاتون؛ سيورقوقتيتي بيكي.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

important aspects of mughal civilization remained confimred to the first sources that listed the subject of women and thier varions contribution the civilization of the first mughal state. On the topics that drew the attention of some scholars intersted in asian studies, it did not happen in medival history that women controlled the wheels of power and mongolized polites for them selives like the mughal women who set on the rome many times for three years or more on the reign.

This women also intervened in the selection of the great KHAN of the mongols, so she sias able, thanks to her control and her proscimity to the center of the political and military deciscion of the state, to bring a particular person the throne through her support for him by passing the mandate of the convenant during her reign.

Perhaps Turkana khatun and siorkoktiti Biky embodied the political tendency of Mughal women by crowning the princes and bringing them to the throne.

Keywords: The political tendency ; khatun ; Mughal state ; Torakne khatun ; siorkoktiti Biky.

- **مقدمة:**

باسم الهمجية والوحشية التي صاحبت آلة القتل والتدمير المغولية، كتب المؤرخون الذين عنوا بتسطير أخبار هؤلاء نعي الحضارة خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي، لكن وبمجرد أن ركد سيل المغول الجارف حتى تحول هؤلاء البدو الغزاة إلى أكبر مدافعين عن حضارة الشعوب التي غلبوها على أراضيها، وباستقامة هؤلاء استقامت معهم أقلام المؤرخين لتمجد إسهامات المغول في حضارة دولتهم .

على أن ما ميز تاريخ المغول بشكل خاص هو قوة المرأة، وإسهامها المباشر إلى جانب الرجل في جميع الميادين الحضارية، ففي الجانب السياسي ظهرت على أنها ذات شخصية سلطوية، وأبانت عن نزعتها السياسية من خلال احتكارها

للسلطة، فقد سجلت لنا الحوليات المغولية نماذج كثيرة عن الخواتين الحاكمات في الدولة المغولية الأولى، وقد حكمت هؤلاء السيدات باسم الوصاية على العرش تارة، وباسم الحكم المباشر تارة أخرى، كما تدخلت المرأة المغولية في اختيار الخان الأعظم، و أوصلت شخصا بعينه إلى الحكم عن طريق دعمها له و الوقوف إلى جانبه في محفل القورلتاي الذي كان يعقد لاختيار الحاكم الأول للدولة، وبالتالي فقد كانت هذه المرأة جزءا من مؤامرات القصور التي كانت تحاك من أجل الأمور السياسية هذا من جهة، ومن جهة ثانية كانت هي وقود وشرارة هذه المؤامرات، وعليه ما هي أسباب وخلفيات سطوع نجم المرأة المغوليةوعلو كعبها في عالم السياسة ؟.

1. مكانة الخاتون في المجتمع المغولي:

نالت الخاتون منزلة عالية في المجتمع المغولي، فمكانتها الاجتماعية وحتى السياسية لم تكن أقل من مكانة الرجل، على أن هذه المكانة كانت تحدد حسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها هذه المرأة، وكثيرا ما كانت هذه المكانة لها علاقة وثيقة بالمنصب السياسي أو العسكري الذي يحتله الزوج، ولذلك كانت منزلة نساء القاآنات[1] وبناتهم وحتى أمهاتهم في قمة الهرم الاجتماعي.

وتأتي بعد هؤلاء نساء الحكام والأمراء وقادة الجيش، ويطلق على كل واحدة من هؤلاء لقب الخاتون.[2]

---

[1] مفرد كلمة قاآنات قاآن (خاقان)وهو لقب أطلقه المغول على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه رئيس الرؤساء أو أعظم الحكام، أما لقب (خان) فكانوا يطلقونه على رؤسائهم الذين يتولون جزء من الإمبراطورية المغوليةوقد استعمل المغول لقب (خان) أيضا بمعنى (خاقان)وربما كان ذلك من باب الرغبة في الاختصار.انظر: رشيد الدين فضل الله الهمذاني،**جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)**، دار العربية،ط1،بيروت،1983م، ص.14،هامش رقم:1.

[1] تستعمل المصادر المتخصصة في تاريخ المغول أمثال الجويني والهمذاني هذا المصطلح،الذي يطلق على سيدات نساء المغول،وهو يأتي بمعنى السلطانة والأميرة والملكة،كما أن بعض الدول

عرف المغول بظاهرة تعدد الزوجات إضافة إلى الجواري من سبيات ومحظيات وقينات، حيث تذكر الرواية أن جنكيزخان كان تحته من النساء ما يزيد عن 500 امرأة[1]،على أنه لم تتمتع كل هته النسوة بنفس المكانة عند القاآن، فكثيرا ما يخبرنا رشيد الدين الهمذاني عند ذكره لنساء القاآن أن أكبرهن شأنا تكون الزوجة الأولى أو كما يسميها الزوجة الكبرى[2]،وحتى وإن لم تكن هذه الزوجة أما لولي العهد أو المرشحة لتولي الوصاية على العرش بعد وفاة زوجها القاآن، فقد كانت الزوجة الأولى لأوكتاي قاآن[3]"بوراقجين خاتون " أكبر الخواتين شأنا، علما أنها

الأعجمية التي حكمت باسم الإسلام استعملت هذا اللقب وأطلقته على السيدات من نسائهم،ومنهم دولة السلاجقة والدولة الخوارزمية...، أما عن ورود هذا المصطلح في مصادر المغول فانظر: علاء الدين عطا ملك الجويني،**تاريخ فاتح العالم (جهان كشاي)**،مج1،المركز القومي للترجمة،ط1، الجزيرة،القاهرة،2007م،ص.247؛ رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.176.

[1] فؤاد عبد المعطي الصياد،**المغول في التاريخ**،ج1،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان، 1980م،ص.352.

[2] ذكر الهمذاني أنه كان لأوكتاي قاآن بن جنكيزخان زوجات كثيرات،كما كان له ستون محظية،وكانت زوجته الأولى- بوراقجين خاتون- أكبر الخواتين شأنا،فانظر كيف قدمها حتى على زوجته الثانية – توراكنه خاتون- وهي التي تولت الوصاية على العرش بعد وفاة زوجها أوكتاي لمدة دامت أربع سنوات كاملة،رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق،ص ص.8،117،وقد أورد الهمذاني أمثلة كثيرة على ذلك مثل الزوجة الأولى لتولوي بن جنكيز خان،وهي سيورقوقتيتي بيكي،وأغول قيميش زوجة القاآن كيوك،وقوتوقتي خاتون زوجة منكو قاآن،وجابوي خاتون زوجة قوبيلاي قاآن... نفسه،ص. 160؛175؛195؛237،238 .

[3] أوكتاي قاآن هو الابن الثالث لمؤسس الدولة المغولية جنكيزخان،ومعنى اسمه العروج إلى الجبل،ونظرا لما اشتهر به من صفات ميزته عن باقي إخوته. فقد اختاره والده جنكيزخان لتولي منصب الخانية من بعده؛ نفسه،ص ص. 16،17؛ علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج1،ص.195 وما بعدها،وتجدر الإشارة في هذا المقام أني لن أعرف بكل الشخصيات المغولية التي أوردها في هذا المقال،وذلك نظرا لكثرتها،وبالتالي فهامش المقال لن يستطيع

لم تكن أما لأبنائه المرشحين لاعتلاء العرش من بعده، وبذلك فاقت منزلة هذه الزوجة عند أوكتاي منزلة زوجته الثانية "توراكنه خاتون " التي كانت أما للخمسة الكبار من أبنائه والوصية على العرش من بعده.[1]

وقد تجتمع في إحدى زوجات القاآن خصلتان اثنتان، وهي أن تكون الزوجة الأولى صاحبة الشأن الأكبر والمنزلة العالية عند زوجها، وفي نفس الوقت تكون أما لأبنائه الأرفع شأنا دون سائر إخوتهم، والمرشحين للجلوس على العرش، وهذه الصفة توفرت في الكثير من خواتين المغول، ومن هؤلاء "بورته فوجين " زوجة جنكيزخان الأولى، وأم أولاده الأربعة الكبار وهم: جوجي ،جغتاي، أوكتاي ،تولوي، وكذالك في "سيورقوقتيتي بيكي " زوجة تولوي بن جنكيزخان وأم أبنائه: منكو قاآن، قوبيلاي قاآن، هولاكو خان وأريق بوقا.[2]

هذه المنزلة التي نالتها الخاتون في المجتمع المغولي أهلتها لأن تتولى الوصاية على العرش بعد وفاة زوجها القاآن، وذلك وفق ما ينص عليه الدستور المغولي المعروف بالياسا، فبعد وفاة أوكتاي قاآن ظلت أرملته "توراكنة خاتون" وصية على عرش المغول لمدة دامت أربع سنوات كاملة[3]، وتكررت هذه الظاهرة أيضا عند وفاة

استيعاب هذا العدد الهائل من الشخصيات،و من أراد الإطلاع عليها فليعد إلى المصادر المتخصصة في تاريخ المغول أمثال جامع التواريخ للهمذاني،وتاريخ فاتح العالم للجويني وكتب إبن العبري،وطبقات ناصري للجوزجاني، و حبيب السيرلخواندمير...

[1] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص ص. 17،18.

[2] نفسه،ص ص.160،161؛ علاء الدين عطا ملك الجويني،**تاريخ فاتح العالم جهان كشاي (في تاريخ منكو قاآن و هولاكو الإسماعيلية)**،مج 3،المركز القومي للترجمة، ط1،الجزيرة،القاهرة، 2015م،ص. 25-27 .

[3] انظر تفصيل ذلك عند رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.176-180؛علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج1،ص.247-250؛غريغوريوس أبي الفرج ابن العبري،**مختوطة تاريخ الأزمنة**،المركز القومي للترجمة،ط1،الجزيرة،القاهرة، 2007م،ص ص.113،114.

القاآن كيوك فقد تولت زوجته "أقول قيميش خاتون " الوصاية على العرش[1]،وكذلك عند وفاة قوبيلاي قاآن ظلت زوجة ابنه "جيم كيم "وهي " كوكجين خاتون " تصرف مهام الملك ومصالحه مدة عام كامل إلى أن جلس ابنها تيمور قاآن على عرش قاآنية المغول .[2]

وصاية الخاتون على العرش لم تقتصر على منصب القاآنية الأعظم أي عند المغول العظام، بل عرفت أيضا عند دول المغول الفيدرالية، أو حتى عند حكام ولايات الدولة، فقد حدث عند وفاة تولوي خان أن أمر أخوه أوكتاي قاآن أن تتولى أرملة تولوي وهي "سيورقوقتيتي بيكي" أمر شؤون إقطاعاته، وبموجب الفرمان الذي أصدره القاآن تقرر أن يكون الجميع تحت تصرفها، ولا يصدر أي شخص أي

[1] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.185- 187؛ علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج1،ص. 265؛وقد أشار ابن العبري إلى ذلك تلميحا لا تصريحا عند نعته لأقول قيميش باسم الملكة.غريغوريوس أبي الفرج جمال الدين ابن العبري،**تاريخ الزمان**،دار المشرق،بيروت،لبنان،1986م،ص.295؛أما في كتابه تاريخ مختصر الدول، فقد صرح بأن باتو أذن لأغول قيميش بأن تدير العرش إلى أن يتم انتخاب خان جديد انظر:غريغوريوس أبي الفرج جمال الدين ابن العبري،**تاريخ مختصر الدول**، دار الكتب العلمية،ط1،بيروت، 1418هـ/1997م،ص.226 .

[2] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق، ص ص. 313،314؛ وانظر: رغد عبد الكريم النجار ،**إمبراطورية المغول(دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية والصراعات السياسية على السلطة "603-766هـ/1206-1365م")**، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان 2012م، ص ص. 138، 139.

أمر إلا بإذنها .[1] كما حكمت "أورقنه خاتون " زوجة "قراهولاكو" حفيد جغتاي بن جنكيزخان أولوس جغتاي بعد وفاة زوجها .[2]

هذه المنزلة التي نالتها خاتون المغول في العصر الوسيط صورها الرحالة ابن بطوطة أحسن تصوير، ووصفها أحسن وصف وهو يتحدث عن خواتين السلطان أوزبك خان فيقول:"... فإذا كان بعد صلاة العصر انصرفت الملكة من الخواتين، ثم ينصرف سائرهن فيتبعنها في محلتها، فإذا دخلت إليها انصرفت كل واحدة إلى محلتها راكبة عربتها، ومع كل واحدة نحو خمسين جارية راكبات على الخيل، وأمام العربات نحو عشرين من قواعد النساء راكبات على الخيل فيما بين الفتيان و العربة، وخلف الجميع نحو مائة مملوك من الصبيان وأمام الفتيان نحو مائة من المماليك الكبار ركبانا، ومثلهم مشاة بأيديهم القضبان و السيوف مشدودة على أوساطهم ... ".[3]

على أن هذه المنزلة التي حظيت بها نساء المغول عامة، و الخواتين منهم خاصة لا تعني أن المغول رفعوا المرأة فوق ما رفعها الدين الإسلامي، فلا يوجد أي مجتمع إستطاع أن يكرم المرأة مثلما كرمتها المجتمعات الإسلامية وفق ما تنص عليه هذه الشريعة السمحاء، فالمغول كثيرا ما وقعوا في جدلية التناقضات في حق المرأة، حيث أعطوها أعلى سلطة في هرم الدولة، ثم تجدهم في موضع آخر لا يأبهون بتقديم حتى الخواتين من نسائهم قربانا لروح قاآنهم عندما يموت، حيث تذكر

---

[1] علاء الدين الجويني،المصدر السابق، مج3، ص 27- 30؛ رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص. 170- 173.

[2] نفسه،ص.150-152؛قارن بما ذكره بارتولد فاسيلي،**تاريخ الترك في آسيا الوسطى**،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية،1996م،ص ص.207.206؛ شبولر برتولد،**العالم الإسلامي في العصر المغولي**،دار حسان للطباعة و النشر،ط1، دمشق،1982م /1402هـ، ص.86؛شيرين بياني،**المغول التركيبة الدينية و السياسية**، المركز الأكاديمي للأبحاث،بيروت،2013م،ص.411.

[3] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بطوطة،**تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** ،دار النفائس،ط1، بيروت،لبنان،1997م ص.221.

الرواية أنه عقب انتخاب أوكتاي قاآن خلفا لوالده جنكيزخان، "... اختار من نسل الأمراءو أبناء الملوك الذين كانوا ملازمين لجنكيزخان أربعين من الفتيات الحسنوات، فاتنات الوجوه، لطيفات المنظر جميلات المخبر، رائعات الجمال مليحات الدلال، ذوات حركات ظريفة وسكنات لطيفة كأنهن اللآلئ ووعد المتقون، وأمدوهن بالكثير من الجواهر والحلي و الحلل، و ألبسوهن أفخر الثياب واختاروا لهن أصيل الجياد وأرسلوهن لروح جنكيزخان"[1].

أما عن مسألة إدارة خاتون المغول لسدة الحكم بنفسها، وجلوسها على العرش فهي من العادات و التقاليد المعروفة عند أقوام التترك و المغول عامة، وقد حافظ هؤلاء على هذه العادة حتى بعد دخولهم في الإسلام، فلم يحدث في التاريخ الإسلامي أن جلست المرأة على كرسي العرش، حتى كان ذلك مع شجرة الدر ذات الأصول التركية، فبعد أن قام المماليك في مصر بتصفية تورنشاه بن الصالح نجم الدين أيوب بايعوا شجرة الدر زوجة الصالح أيوب بالسلطنة، وذلك في صفر من عام 648هـ/أيار عام 1250م، وحلفت لها العساكر بإعتبارها سلطانة[2]، كما تمتعت "توركان خاتون" والدة علاء الدين خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية بنفوذ كبير في دولة ابنها، حتى أنه كان لا يستطيع أن يقطع في أي أمر دون إذنها لدرجة أنه لم يستطيع أن يعهد بالولاية من بعده لأكفئ أبنائه جلال الدين منكبرتي مداراة لرأي أمة وتتبعا لمرادها، إذ أنها كانت على خلاف مع جلال الدين وهذا ما دفع السلطان لأن يولي ابنه قطب الدين أزلاغ شاه نزولا عند رأيها، ولم يصحح هذا

[1] علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج1،ص ص.203،204؛ رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق،ص.30؛غريغوريوس ابن العبري،مخطوطة تاريخ الأزمنة،ص.91؛ تاريخ الزمان،ص. 275؛تاريخ مختصر الدول،ص. 214.

[2] محمد سهيل طقوش، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، دار النفائس، ط4، بيروت، لبنان، 1436هـ/2015م، ص.36؛ زيدان جرجي، **شجرة الدر**، دار كوكب العلوم، ط1، 2003م، ص.41وما بعدها. العلوم،ط1،الجزائر،2013م،ص.41 وما بعدها.

الخطأ الذي ارتكبه حتى علم أن المغول قاموا بأسر أمه توركان خاتون، و بالتالي تحرر هو من أسرها.[1]

2. دور الخواتين في جلوس أبنائهم الأمراء على سرير الخانية:

حفل تاريخ المغول بكثرة الأمثلة عن رعاية خواتين المغول لأبنائهم الأمراء، وتهيئتهم للجلوس على العرش، وما صاحب ذلك من دسائس و مؤمرات وتصفيات في البلاط المغولي وبين أمرائه،و كثيرا ما استعملت هؤلاء الخواتين كل الطرق و الوسائل من أجل تحقيق غاياتهن، كالخروج عن قوانين دستورهم المعروف بالياسا، أو ضرب ولاية العهد عرض الحائط، و استبدال الأمير المنصوص عليه في ولاية العهد بأمير آخر ترشحه أقوى الخواتين، و بما أن الأمثلة على ذلك كثيرة فستقتصر هذه الدراسة على أنموذجين فقط.

1.2 دور توراكنه خاتون في توليه كيوك قاآنا على المغول:

جلس أوكتاي بن جنكيز خان على عرش المغول في الفترة الممتدة ما بين سنوات 626-639هـ/1229-1241م، و قد حافظ طيلة هذه المدة على وحدة الدولة المغولية كما كانت في عهد جنكيزخان، غير أن حادثة وفاته المفاجئة كادت أن تعصف بالدولة الناشئة، حيث ظهرت عدة أطراف تجاذبت العرش لنفسها، وفي هذا الجو المشحون بالدسائس و المؤامرات استطاعت توراكنه خاتون أرملة القاآن أوكتاي أن تفتك من الجميع مهمة الوصاية على العرش، يقول رشيد الدين الهمذاني:"... فوضعت توراكنه خاتون –التي كانت والدة الأبناء الكبار- الملك في قبضة تصرفها بلطائف الحيل، و وفقا لهواها دون استشارة أفراد الأسرة الحاكمة،

[1] محمد بن أحمد النسوي،**سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**،دار الفكر العربي، دم،دت،ص.120.

صارت تجتذب قلوب الأقارب والأمراء بأنواع التحف والهدايا حتى مال الجميع إليها، و أصبحوا رهن إشارتها..."[1]

كان أوكتاي قد جعل ولاية العهد لابنه الثالث كوجو، ولكن هذا الأخير كان قد توفي في حياة أبيه فجعل أوكتاي ولاية العهد من بعده لحفيده شيرامون بن كوجو الذي كان لا يزال طفلا صغيرا، وعلى هذا يكون ولي العهد الشرعي هو شيرامون[2]، غير أن جنكيز خان كان قد رشح هو الآخر لولاية العهد بعد ابنه أوكتاي ابن هذا الأخير و هو كوتان[3]، وهكذا أصبح العرش مفتوحا أمام مرشحين اثنين، وهو ما أدى إلى ظهور أحزاب أخرى مطالبة بالعرش، أو مرشحة لشخص ثالث، أو داعمة لأحد هذين المرشحين، وهذه الأحزاب هي:

- حزب باتو بن جوجي، وهو ملك خانات روسيا والقبجاق، وكان أكبر أفراد الأسرة الحاكمة المرشحين لتولي العرش، غير أنه لم يكن يريد العرش لنفسه، بل كان يريد نزع القاآنية من بيت عمه أوكتاي، وكان يرى أن ابن عمه منكو بن تولوي هو أفضل شخص يمكن إجلاسه على عرش المغول.[4]
- الحزب الذي كان يقوده كوتان الابن الثاني لأوكتاي، وهو مرشح جده جنكيز خان، وقد كان كوتان مدعوما بخصوم توراكنه خاتون، وعلى رأسهم الوزير الأعظم جينقاي، و محمود يلواج صاحب الديوان.[5]

---

[1] رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص. 176.

[2] نفسه، ص.180.

[3] نفسه، ص.181.

[4] ذكرت المصادر أن باتو ظل متمسكا برأيه لدرجة أنه امتنع عن حضور القورلتاي الذي انتخب فيه كيوك قاآنا أعظما للمغول وأناب عنه في ذلك بعض إخوته. نفسه، ص.180؛ علاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج 1، ص.255؛ غريغوريوس ابن العبري، تاريخ الزمان، ص. 290.

[5] رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص ص.177،176؛ علاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج 1، ص ص. 248،249؛256.

- الحزب الذي يريد تنفيذ وصية القاآن المتوفى، والقاضية بانتخاب حفيده شيرامون بن كوجو قاآنا أعظما، وكان على رأس هذا الحزب أفراد الأسرة الحاكمة الذين يرون أن التمسك بقوانين الياسا هو الحل الوحيد لبقاء شرعية الدولة، غير أن هذا الحزب لم يكن له من القوة ما يجعله يقف في وجه توراكنه خاتون.[1]

- الحزب الذي كان على رأسه "أوتجكين نويان" أخو جنكيز خان، والذي كان تحته من الجيش ما يجعله يستولي على العرش بالقوة والغلبة.[2]

- حزب توراكنه خاتون الوصية على العرش، والتي تريد أن يعتلي بكرها كيوك العرش، وكان هذا الحزب مدعوما بحاجبتها فاطمة، التي كانت صاحبة الحل والعقد مدة وصاية توراكنه على العرش.[3]

كان مرشح توراكنه خاتون كيوك عندما مات والده أوكتاي لا يزال يقاتل في جيش باتو في القبجاق، ولذلك حرصت هذه الخاتون على أن تطول مدة وصايتها على العرش في انتظار وصول كيوك، وحتى يتم الاستعداد الجيد لانتخابه مكان والده.[4] وقد عملت هذه المرأة في مدة وصايتها الطويلة التي تربوا على أربع سنوات

---

[1] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص. 180؛علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج1،ص.256؛قارن برواية ابن العبري الذي يذكر أن شيرامون كان أخو كيوك وكوتان،وليس ابن أخيهما.غريغوريوس ابن العبري،مخطوطة تاريخ الأزمنة،ص. 113؛ تاريخ الزمان،ص. 290؛ تاريخ مختصر الدول،ص.224 .

[2] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.178؛علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج1،ص. 250 .

[3] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص ص. 176،177؛علاء الدين الجويني، المصدر السابق،مج1،ص.247 وما بعدها؛ غريغوريوس ابن العبري،مخطوطة تاريخ الأزمنة،ص. 113.

[4] الباز السيد العريني،**المغول**،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان،1406هـ/1986م،ص. 188؛ فؤاد عبد المعطي الصياد،المرجع السابق،ج1،ص. 194.

كاملة (1242- 1246م)[1] على أن تعد لهذا الأمر عدته، حيث عملت أولا على إبعاد رجال الدولة الذين كانوا أصحاب الحل والعقد مدة حكم أوكتاي، واستبدالهم بآخرين تثق بهم،وكان على رأس هؤلاء الوزير الأعظم "جينقاي"، وصاحب الديوان محمود يلواج، اللذان لم ينقضهما من بطشها سوى فرارهما إلى ابنها كوتان الذي قام بحمايتهما، كما فر الأمير مسعود بيك بجلده إلى حضرة باتو في القبجاق[2]، وقد استعانت توراكنه خاتون في تنفيذ مآربها بحاجبتها فاطمة التي كانت توصف بالذكاء والكفاءة، كما كانت موضع ثقة وكاتمة أسرار الخاتون، وما فتئت هذه الحاجبة أن تحولت إلى الآمر الناهي في كل أطراف الدولة في ظل وصاية توراكنه خاتون على العرش، حيث عزلت كل شخص لم ترض عنه، وعينت بدله كل من أرادت.[3]

وحتى تكسب توراكنه أفواد الأسرة الحاكمة والشخصيات المؤثرة في القورلتاي، فقد عملت على استقطاب هؤلاء بما كانت تدره عليهم من أعطيات وهدايا، يقول عطا ملك الجويني : " ... وجذبت إليها قلوب الأقارب بأنواع الحيل

---

[1] منهاج السراج الجوزجاني،**طبقات ناصري**،ج2،المركز القومي للترجمة،ط1، الجزيرة، القاهرة، 2012م،ص. 180؛الباز السيد العريني،المرجع السابق،ص.188؛ فؤاد عبد المعطي ا لصياد،المرجع السابق،ج1،ص.195.

[2] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص. 176-178؛علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج1،ص ص. 248،249 .

[3] نفسه،مج1،ص.249؛رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.176؛غريغوريوس ابن العبري،مخطوطة تاريخ الأزمنة،ص.114؛شرين بياني،المرجع السابق،ص. 106-108؛سعاد هادي حسن إرحيم الطائي،**أعلام أمراء البلاط المغولي(دراسة في دورهم العسكري والسياسي والإداري والاقتصادي، والعمراني 624-673هـ/1227-1274م)**،دار الكتب والوثائق، ط1،بغداد، 2013م،ص. 119.

والهدايا والتحف، ومال إليها أكثر الأجانب والعشائر والأقارب، وانقاد الناس إلى أوامرها و نواهيها طواعية ورغبة و انضووا تحت قوانينها..."[1].

على الرغم من كل ذلك لم تستطع أن تقطع طمع كل الطامحين لاعتلاء العرش، حيث استغل أوتجكين نويان أخو جنكيزخان خلو العرش من سلطان قاهر، و بهذا الغرم توجه هذا الأمير إلى معسكر أوكتاي بجيش جرار مزودا بكامل العتاد و العدة، و هذا من أجل افتكاك منصب القاآنية بالقوة والغلبة، و هنا أظهرت توراكنه خاتون حنكتها السياسية و دبلوماسيتها الرائعة حيث أرسلت إليه قائلة: "نحن كنائنك و مستظهرون بك، فما سبب قدومك بالجنود وبالعدة والعتاد، إذ أن كافة الرعايا و الجنود قد اضطربوا..."[2] و بذلك استطاعت أن تثنيه عن قصده، فبرر موقفه بأنه جاء من أجل تقديم العزاء بسبب وفاة أوكتاي، وفي هذه الأثناء وصل كيوك إلى معسكر والده، فازداد ندم أوتجكين، وعاد إلى موطنه، و انقطع بوصول كيوك طمع كل طامح إلى اعتلاء العرش[3].

2.2 اعتلاء كيوك عرش المغول:

بعد ما تأكدت توراكنه خاتون أن جميع الأوراق الرابحة أصبحت بيدها، أرسلت إلى جميع أمراء الدولة في الغرب والشرق تدعوهم لحضور القورلتاي، و قد كان الكثير من هؤلاء الأمراء يترقبون وصول كيوك، و بمجرد وصول هذا الأخير إلى بلاط أبيه، انقطع طمع كل من كانت تسول له نفسه الجلوس على العرش، فسارع الجميع إلى تلبية نداء دعوة حضور القورلتاي، إلا باتو الذي أناب عنه إخوته، وفي

[1] علاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج1، ص.247؛ وانظر قريبا من هذا القول عند: رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص. 176.

[2] نفسه، ص. 178؛ قارن بعلاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج1، ص.250.

[3] رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص.178؛ علاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج1، ص. 250.

ربيع سنة 643هـ/1245م[1]، اجتمع الأمراء في موضع "كاكاناوور"، وتباحثوا في موضوع الخانية حيث قالوا:" إن كوتان الذي كان جنكيز خان قد رشحه للقاآنية بعد وفاة أبيه مريض، ولما كانت توراكنه خاتون تميل إلى تنصيب كيوك، ولم يبلغ شيرامون وصي القاآن سن الرشد، تقضي المصلحة بأن ننصب كيوك خان الابن الأكبر للقاآن.[2]

تعذر كيوك في البداية عن قبول المنصب، ولم يفعل ذلك إلا لكي يتوثق لنفسه ونسله من بعده، حيث قال: إني أقبل هذا المنصب، بشرط أن تبقى الخانية في ذريتي، فكتب الجميع تعهدا بالموافقة على رأيه قائلين: إذا بقيت من نسلك قطعة لحم ملفوفة في الشحم والعلف، و تعافها الكلاب والبقر، فإننا لن نعطي الخانية لشخص آخر، ثم أجلسوه على عرش الخانية و ذلك في ربيع الثاني سنة 643هـ/1245م .[3]

وهكذا يظهر أن حزب توراكنه خاتون كان هو الحزب الأقوى، لأن مرشحها لقي قبولا من طرف الجميع، وهذا في وجود شخصين آخرين يمتلكان شرعية أكبر من شرعيته، فكل من أخيه كوتان وابن أخيه شيرامون كانا منصوص عليهما بولاية العهد، فالأول أشار به جده جنكيزخان، والثاني عهد إليه أوكتاي، ولكن توراكنه خاتون استطاعت أن تزيح الاثنين معا، وتفرض مرشحها ضاربة ولاية العهد عرض

---

[1] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص ص.180،181؛علاء الدين الجويني، المصدر السابق،مج1،ص.254-256؛غريغوريوس ابن العبري،مخطوطة تاريخ الأزمنة، ص. 113.

[2] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص ص. 180،181؛علاء الدين الجويني، المصدر السابق،مج1،ص ص.256،257؛قارن بغريغوريوس بن العبري،مخطوطة تاريخ الأزمنة،ص.113؛ تاريخ الزمان،ص. 290؛ تاريخ مختصر الدول،ص. 224؛قارن أيضا مع رواية الجوزجاني المخالفة لكل هذه الروايات.منهاج السراج الجوزجاني،المصدر السابق،ج2،ص.183.

[3] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.182؛ قارن بما ذكره علاء الدين الجويني، المصدر السابق،مج1،ص. 257؛غريغوريوس بن العبري،تاريخ الزمان،ص ص. 290،291؛ مخطوطة تاريخ الأزمنة،ص ص. 113،114.

الحائط، وهذا دليل على قوة شخصيتها، وفرض سطوتها على الجميع، وهذا ما عناه رشيد الدين الهمذاني عندما حلل شخصيتها في هذه الكلمات: ومصداقا لسيطرتها وتحكمها أنها لم تأبه بوصية جنكيزخان، ولم تسمع كلام الإخوة الكبار والصغار.[1]

3.2 دور سيورقوقتيتي بيكي في تولية منكو قاآنا على المغول:

لم يخبرنا الجويني الذي حدد موقع إقامة كل واحد من أبناء جنكيزخان عن حدود مملكة أصغر أبنائه تولوي، بإستثناء أنها كانت متصلة ومجاورة لأملاك أخيه أوكتاي، وقال أن ذلك الموضع كان يقع وسط المملكة وكان منها مثل المركز من الدائرة،[2] وأشار في موضع آخر أنه و بمقتضى القانون المغولي القاضي بأن يحل أصغر الأبناء محل أبيه، فإن تولوي وباعتباره أصغر الأبناء، فقد حل محل والده جنكيزخان، حتى تم إنتخاب أوكتاي قاآنا أعظما للمغول.[3]

مات تولوي خان عقب الحملة التي قادها كل من الأخوين أوكتاي قاآن وتولوي خان على الصين، لذلك عهد القاآن إلى زوجته "سيورقوقتيتي بيكي" بمهمة تدبير شؤون إقطاعات زوجها، باعتبارها أكبر زوجاته وأم أكبر أبنائه وهم منكو قاآن، قوبيلاي قاآن، هولاكوخان وأريق بوقا،[4] وبموجب المرسوم الذي أصدره أوكتاي قاآن كان لزاما على جميع من هم في مملكة تولوي أن يطيعوا أمر سيورقوقتيتي بيكي، وبمقتضى هذه الصلحيات التي منحها أوكتاي، فقد تفرغت هذه الخاتون لإدارة شؤون المملكة على أكمل وجه باللطف والكياسة حينا، وبالصرامة حينا

---

[1] رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص. 18.

[2] علاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج1، ص. 80.

[3] نفسه، مج3، ص ص. 25، 26؛ هذا وقد ذكر الهمذاني أن نصيب تولوي من ممتلكات كان الموطن الأصلي للمغول وقد كانت عاصمة أبيه من نصيبه. رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص. 168.

[4] علاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج3، ص ص. 26، 27؛ قارن برواية رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص ص. 170، 171.

آخر، حيث أن هذه المرأة لم تتوان ولو لحظة واحدة في إعدام بعض أمراء مملكتها، لما ثبت لها أنهم قاموا بزيادة بعض الضرائب والرسوم على الرعايا من تلقاء أنفسهم، ودون الرجوع إليها[1].

كان أكثر ما يشغل فكر "سيوقوقتيتي بيكي" أمر أبنائها، ذلك أنها كانت ترى في قرارات نفسها أن زوجها تولوي، كان أحق أبناء جنكيزخان بمنصب القاآنية، وإذا لم يحض هو بهذا المنصب، فيجب أن يصل أحد أبنائه إلى كرسي العرش، وهذا ما جعلها بعد وفاة زوجها تتفرغ لتربية أبنائها وتلقينهم الفضائل والآداب، حتى أنها رفضت عرض القاآن أوكتاي بالزواج من ابنه كيوك، وهذا حتى تتفرغ لهذه القضية[2]، ورغم ما تميز به أبناء "سيورقوقتيتي بيكي" من ذكاء ودهاء وقوة الشخصية والإستقلال بالرأي، إلا أنها استطاعت أن تضبطهم وتأخذ بقيادتهم، فلم يكن لأي واحد منهم أن يخرج عن قراراتها.[3]

كما سبق وأن ذكرنا فقد دخلت الدولة المغولية في حالة من الفوضى وعدم الاستقرار في المرحلة التي أعقبت وفاة أوكتاي وانتخاب ابنه كيوك، وهي مرحلة وصاية "توراكنه خاتون" على العرش والتي دامت أربع سنوات كاملة، حيث أصبح كل شخص يمتلك قليلا من النفوذ يرسل رسله إلى أطراف الدولة بمستندات الصرف والحوالات لطلب الأموال وجباية الضرائب بدون وجه حق، أما "سيورقوقتيتي بيكي" وأبنائها فقد تمسكوا في هذا الظرف الحرج الذي كانت تمر به الدولة بقوانينها وما ينص عليه دستورهم المعروف بالياسا[4]، حتى أنها لم تتردد ولو

---

[1] علاء الدين الجويني،المصدر السابق، مج3،ص.28.

[2] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص ص. 170، 171.

[3] علاء الدين الجويني،المصدر السابق،ص. 29؛رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق، ص. 170.

[4] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص. 178؛علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج3،ص. 29.

للحظة واحدة في إعدام الأمراء الذين فرضوا ضرائب على الرعايا بدون الرجوع إليها[1].

هذا الموقف الذي وقفته هذه الخاتون جعلها مضربا للمثل وقدوة يحتذي به جميع الأمراء، وفي الوقت الذي انتخب فيه كيوك وأخذ يحقق في كل المخالفات التي قام بها الأمراء قبل انتخابه، وجد أن سيورقوقتيتي بيكي وأبنائها هم وحدهم الذين لم يرتكبوا أي مخالفة، ولم يخرجوا عن قوانين الياسا، وهذا ما جعله يثني عليهم دائما في حديثه للآخرين.[2]

4.2 إعتلاء منكو عرش المغول:

هيئت سيورقوقتيتي بيكي أبنائها لاعتلاء العرش بما حرصت عليه من تلقينهم لآداب الملك وفنونه، ومعرفة للقوانين وسياسة للرعية، ولما علمت أن الفرصة التي كانت تنتظرها قد حانت رمت بأكبرهم منكو لتلقفها، ذلك أن الخلاف بين القاآن كيوك والأمير باتو – وهو عميد بيت جنكيز خان وأكبر الأمراء قدرا وأعلاهم شأنا – ظل قائما منذ أن امتنع باتو من حضور مجمع القورلتاي الذي انتخب فيه كيوك قاآنا للمغول، وقد ظل كيوك يتوجس خيفة من الأمير باتو أن ينازعه على عرشه كيف لا وهو الأمير القوي وسيد القوم جميعهم، إضافة إلى أنه يملك من الإقطاعات والجيش المجهز بالعتاد والعدة، ما يؤهله لتنفيذ مراده بسهولة.

هذه الوساوس التي كانت تشغل بال القاآن كيوك جعلته يبيت الغدر لباتو، فسار لحربه في القبجاق، وأظهر للجميع أنه سائر "إلى تلك الجهة بسبب مرضه وذلك لأن هواء تلك الجهة ملائم" لعلته[3]،وإذا كانت سيورقوقتيتي بيكي من أوائل الذين حضروا حفل تتويج كيوك على عرش المغول فلأنها دائما تقف في صف

---

[1] نفسه،مج3،ص. 28 .

[2] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.183؛علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج 3،ص. 29 .

[3] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص. 172؛رغد النجار،المرجع السابق، ص.108؛سعاد الطائي،المرجع السابق،ص.58 .

الأقوى، فلما أيقنت أن شمس كيوك بدأت بالأفول بسبب مرضه، وأن رياح السعادة تهب لصالح باتو، وهو الوحيد الذي يمتلك مفاتيح تتويج ابنها منكو إمبراطورا على المغول، باعتبار باتو عميد أسرة جنكيز خان، لذلك أرسلت رسالة سرية إليه تعلمه فيها بم يبيته له كيوك، وأنه سائر لحربه، لا إلى منطقة "ايميل" كما أظهر للجميع.[1]

من جهته وعملا بنصيحة سيورقوقتيتي بيكي، فإن باتو ورغم تخوفه من هذه الحرب الأهلية، فإنه استعد لها في حزم وعزم واحتياط شديد، ولكن كيوك ما إن بلغ نواحي سمرقند حتى توفي بالمرض الذي كان قد اعتراه منذ مدة [2] وذلك في سنة 646هـ[3]، وهكذا أضحى الطريق مفتوحا أمام باتو لاعتلاء عرش المغول باعتباره أكبر أفراد الأسرة الحاكمة وأقواهم، وتحته من الجيش والإقطاعات ما يؤهله لذلك المنصب.

ووفقا للقاعدة والعادة المغولية التي تقضي بأن تدير أرملة القاآن المتوفى إدارة وسدة الحكم، حتى يتم اختيار القاآن الجديد، تولت "أقول قيميش" الوصاية على العرش، وأثناء وصايتها رشحت لمنصب القاآنية "شيرامون بن كوجو" ولكها فشلت في تتويجه للأسباب التالية:

---

[1] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.172؛سعاد الطائي،المرجع السابق، ص.60؛رغد النجار،المرجع السابق،ص.108.

[2] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص. 185.

[3] هناك إختلاف بين المصادر في سنة وفاته فقد ذكر الهمذاني أنه توفي في سنة 640هـ، وهذا سهو منه على اعتبار أنه ذكر أن سنة جلوسه على العرش هي 643هـ/1245م ولذلك رجح الدكتور يحي الخشاب محقق هذا المصدر سنة 647هـ/1249م،نفسه،ص.122،هامش رقم:1؛أما الجويني فقد ذكر أنه توفي في حدود سمرقند دون ذكر سنة الوفاة،وقد رجح محقق هذا المصدر محمد عبد الوهاب القزويني سنة 646هـ. علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج1،ص. 263،هامش، رقم: 1؛أما غريغوريوس بن العبري فقد ذكر أنه توفي تاسع ربيع الآخر من سنة 647هـ، غريغوريوس بن العبري،تاريخ مختصر الدول،ص. 225 .

- قصر نظرها السياسي بسبب بخلها، وقضاء أغلب أوقاتها مع السحرة و المشعوذين.[1]

- معارضة أفراد الأسرة الحاكمة لها، وخاصة بيت جوجي ممثلا في باتو، وبيت تولوي ممثلا في أرملته سيورقوقتيتي بيكي.[2]

أراد باتو أن يبرهن للجميع أنه أقوى المرشحين لتولي العرش بعد كيوك، بما أقدم عليه من دعوة الجميع إليه في القبجاق لعقد القورلتاي، وإنتخاب خليفة لكيوك، وتحجج على عدم عقدالإجتماع في قراقورم بأنه مريض ولا يستطيع الحضور، ولذلك وباعتباره أكبر أفراد الأسرة الحاكمة فعلى الجميع أن يحضروا عنده، ولما كانت أقول قيميش أرملة كيوك، وأفراد أسرة أوكتاي يريدون إجلاس شيرامون بن كوجو على العرش، عارضوا فكرة الذهاب إلى حضرة باتو في القبجاق، هنا عادت سيورقوقتيتي بيكي لتغتنم الفرصة مرة أخرى، وطلبت من بكرها "منكو" الإسراع إلى حضرة باتو، فهو عميد الأمراء، وإليه يرجع تعيين الملوك وتنصيبهم، على أن منكو وبإشارة من أمه أظهر للجميع أنه ذاهب إلى باتو من أجل عيادته فقط.[3]

وبذهاب منكو إلى حضرة باتو، تسارع باقي الأمراء إلى الالتحاق به هناك، وفي الوقت الذي كان فيه الجميع ينتظرون أن يرشح باتو نفسه لمنصب القاآنية. فاجأهم و رشح منكو، وذلك بسبب ما شاهد على هذا الأمير من صفات تؤهله لتبوئ منصب قاآن المغول، وقد صرح باتو عن ذلك بقوله:" إن لمنكو من بين الأمراء الأنجال الاستعداد والأهلية للخانية، لأنه رأى الدهر خيره وشره، وذاق كل عمل

---

[1] رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص. 186.

[2] نفسه، ص.197-200؛ قارن بما ذكره الجويني ملخصا.علاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج1، ص.265؛ غريغوريوس بن العبري، تاريخ الزمان، ص ص. 295، 296 .

[3] رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص. 172؛ قارن بالجويني الذي لا يذكر أن الخاتون سيورقوقتيتي بيكي أرسلت منكو، بل يذكر أن باتو عاد إلى مقره بالقبجاق، ثم لحق به منكو و سائر الأمراء إلى هناك. علاء الدين الجويني، المصدر السابق، مج3، ص ص. 36، 37.

حلوه ومره،وقاد الجيوش عدة مرات إلى الأطراف، كما أنه يمتاز على الجميع بعقله وكفائته"[1]، وهكذا تم في مقر باتو بالقبجاق إجلاس منكو على عرش المغول، وتقرر في هذا الإجتماع أن يعقد مجلسا آخرا للشورى في العام المقبل تثبت فيه قرارات المجلس الأول .[2]

على أن أفراد الأسرة الحاكمة لم يوفقوا لعقد القورلتاي رغم انقراض عام ونصف من تاريخ الإجتماع الأول، فأرسل بركه خان إلى أخيه باتو رسالة يقول فيها:" ... لقد مضى عامان، ونحن نريد إجلاس منكو قاآن على العرش، وسبب ذلك أن أبناء أوكتاي قاآن وكيوك خان، و"يسو مونكاكا"بن جغتاي لم يحضروا"، فرد باتو: " أجلسه أنت على العرش،وكل من يخالف الياسا يطاح برأسه"[3]، عند ذلك اجتمع كل أفراد الأسرة الحاكمة في مقر جنكيزخان في قراقورم وأجلسوا منكو قاآن على سرير الحكم، وعرش السلطة،وذلك في ذي الحجة سنة 648هـ/1250م .[4]

وهكذا كفلت "سيورقوقتيتي بيكي" انتقال منصب القاآنية إلى أبنائها، وذلك راجع إلى امتلاكها الورقة الرابحة، وهي دعم عميد الأسرة الجنكيزية باتو لها في

---

[1] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص.199؛علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج3،ص ص.38،39؛ غريغوريوس بن العبري،تاريخ مختصر الدول،ص. 228؛ تاريخ الزمان،ص. 295 .

[2] علاء الدين الجويني،المصدر السابق،مج3،ص ص. 40، 41؛ رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق،ص. 200؛ غريغوريوس بن العبري،تاريخ الزمان،ص.296؛تاريخ مختصر الدول،ص ص.228، 229 .

[3] رشيد الدين الهمذاني،المصدر السابق،ص. 205.

[4] نفسه،ص ص.202، 203؛قارن بابن العبري الذي يذكر ذلك في ربيع الآخر من سنة 649هـ. غريغوريوس بن العبري،تاريخ الزمان،ص.296؛تاريخ مختصر الدول،ص.229؛ في حين يذكر ابن خلدون أن منكو جلس على عرش المغول سنة 650هـ. عبد الرحمان بن خلدون،**تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج5،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391هـ/1971م، ص. 42.

مشروعها، ولكن كيف استطاعت هذه المرأة أن تتفطن إلى ما لم يتفطن له أي شخص آخر، وتدرك ما لم يدركه غيرها، وهو أن باتو لم تكن له طموحات في اعتلاء العرش، ففي الوقت الذي دعا فيه باتو الجميع إلى القبجاق لعقد القورلتاي، ظن الكل باستثناء هذه الخاتون أن باتو يريد العرش لنفسه، لذلك أمرت ابنها منكو بالإسراع إليه قبل أن يصل أي أحد قبله، وكما يقول الهمذاني:" فبايعه باتو جزاء وفاقا لذلك الجميل، والحقوق السابقة، وأجلسه على عرش القاآنية"[1].

قرأت سيورقوقتيتي بيكي ما كان يدور في فكر باتو، حيث أنه لم تكن له أي طموحات في اعتلاء العرش، بل كان قصارى ما يصبوا إليه هو نزع منصب القاآنية من بيت أوكتاي هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنه يرى في منكو وسيلة لتحقيق أهدافه وفقط، وقد عبر عن ذلك صراحة عشية إجلاس منكو على عرش القاآنية قائلا: "إنه لي ولأخي بركة في هذه الناحية سلطان" كبير وممالك شتى لا يتيسر ضبطها مع ضبط ممالك الصين وتركستان والعجم، وإذا ما أجلست أنا باتو منكو على العرش أكون أنا القائد في الحقيقة"[2]، على أن سيورقوقتيتي بيكي كانت أذكى من باتو، فسرعان ما استرد ابنها منكو كل صلحياته كقاآن أعظم للمغول بعد وفاة باتو.

خاتمة:

[1] رشيد الدين الهمذاني، المصدر السابق، ص. 172.

[2] منهاج السراج الجوزجاني، المصدر السابق، ج2، ص. 194.

يمكن القول في الأخير أن البحث توصل إلى نتائج هامة، تظهر للقارئ واضحة جلية عند تصفحه لثنايا هذه الدراسة و نلخصها فيما يلي:

- السر في سطوع نجم المرأة المغولية، و ظهورها البارز في عالم السياسة إلى جانب الرجل يعود أساسا إلى العادة المغولية و التركية التي تقضي بأن تتولى الخاتون مسؤلية الوصاية على العرش حتى يتم انتخاب حاكم جديد.

- لم يحدث في التاريخ الوسيط أن سيطرت المرأة على دواليب السلطة مثلما حدث مع المرأة المغولية، التي تولت الوصاية على العرش لمرات عديدة، و لفترات فاقت في بعض الأحيان أربع سنوات كاملة.

- تدخلت خاتون المغول مباشرة في انتخاب الخان، و كان لها الدور المباشر في اختيار أحد المرشحين، و ترجيح كفته دون سائر الأمراء الآخرين، و هذا دليل واضح على قوة و سيطرة المرأة في العصر المغولي .

- المكانة العالية التي نالتها المرأة المغولية، و المنزلة التي بلغتها لا تعني أنها فاقت بذلك مكانة و منزلة المرأة المسلمة التي كرمها الإسلام، و أعطى لها مكانة مستمدة من شريعته السمحاء، لأن المغول كثيرا ما وقعوا في جدلية التناقضات في حق المرأة حتى أنهم قدموا الخواتين من نسائهم قرابين لروح قاآنهم المتوفى .

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 779هـ) :**تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1997م.

- الجوزجاني منهاج السراج(ت 658هـ): **طبقات ناصري**، تر: ملكه علي التركي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، 2012م، ج2.

- الجويني علاء الدين عطا ملك (ت 683هـ):**تاريخ فاتح العالم(جهان كشاي)**، تر: السباعي محمد السباعي، تحق: محمد عبد الوهاب القزويني، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، 2007م، مج1.

- الجويني علاء الدين عطا ملك (ت 683ه): **تاريخ فاتح العالم(جهان كشاي)،في تاريخ منكو قاآن و هولاكو والإسماعيلية**،تر: محمد السعيد جمال الدين،تحق:محمد عبد الوهاب القزويني، المركز القومي للترجمة،الجزيرة،القاهرة، 2015م،مج 3.

- ابن خلدون عبد الرحمان(ت 808ه): **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرو من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1391ه/1971م،ج 05.

- ابن العبري غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الملطي (ت 685ه) : **مخطوطة تاريخ الأزمنة**،تر: شادية توفيق حافظ،مراجعة: السباعي محمد السباعي،المركز القومي للترجمة، الجزيرة،القاهرة، 2007م.

- ابن العبري غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الملطي (ت 685 ه) : **تاريخ الزمان**،تر: الأب إسحاق أرمله،تقد: الأب الدكتور جان موريس فييه،دار المشرق،بيروت،لبنان، 1986م.

- ابن العبري غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الملطي(ت 685ه): **تاريخ مختصر الدول**، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418ه/ 1997م.

- النسوي محمد بن أحمد (دت): **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**،تحق : حافظ أحمد حمدي،دار الفكر العربي،دت.

- الهمذاني رشيد الدين فضل الله (ت 718 ه) : **جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قاآن إلى تيمور قاآن)**،تر: فؤاد عبد المعطي الصياد،تقد: يحي الخشاب،دار النهضة العربية، بيروت،1983م.

المراجع :

- بارتولد فاسيلي: **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**،تر: أحمد السعيد سليمان،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية، 1996م.

- بياني شيرين: **المغول التركيبة الدينية و السياسية**،تر: سيف علي،تقد: نصير الكعبي،المركز الأكاديمي للأبحاث،بيروت، 2013م.

- جرجي زيدان:**شجرة الدر**،تصح،قوعيش جمال الدين،دار كوكب العلوم،الجزائر،2013م.

- شبولر برتولد:**العالم الإسلامي في العصر المغولي**،تر:خالد أسعد عيسى،تقد:سهيل زكار،دار حسان للطباعة والنشر،دمشق، 1982م/1402هـ .

- الصياد فؤاد عبد المعطي: **المغول في التاريخ**،دار النهضة العربية، بيروت،لبنان،1980م،ج1.

- الطائي سعاد هادي حسن إرحيم: **أعلام أمراء البلاط المغولي (دراسة في دورهم العسكري والسياسي والإداري والاقتصادي و العمراني 624-673 هـ/1227 م-1274م)**،دار الكتب و الوثائق، بغداد، 2013م.

- طقوش محمد سهيل: **تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام**،دار النفائس،بيروت،لبنان، 1436هـ/2015م.

- العويني السيد الباز: **المغول**،دار النهضة العربية،بيروت،لبنان، 1406هـ/1986م .

- النجار رغد عبد الكريم،**إمبراطورية المغول(دراسة تحليلية عن التاريخ المبكر للمغول وتكوين الإمبراطورية و الصراعات السياسية على السلطة(603-766هـ/1206-1365م)**،دار غيداء للنشر والتوزيع،عمان، 2012م .